والاهل، وان كانوا ليسوا بأهل، واشتروا في ذلك شرعا لم يأذن به الله، وفات بهذا التوارث معنى اختيار أهل الحل والعقد من الامة من يرونه صالحا لهذا المنصب، فوسد الامر الى غير أهله وهي الصدمة الثانية التي صدم بها الاسلام وأهله، واذا أضفتها الى الصدمة الاولى وهو تعدد الخلفاء يتجلى لك انهما كانتا كافيتين لمحو السلطة الاسلامية من القرن الاول وعدم امتدادها، ولكن روح الدين نفسه كانت في ريعان شبابها فقويت على أعراض هذه الامراض العارضة، فلم يظهر أثرها الا بعد ضعف الدين نفسه، كذلك يطرأ على الجسم في طور الشباب داء دوي فتدفع أعراضه قوة المزاج حتى لا تكاد تظهر فاذا ألم بالمزاج ما أضعفه من كبر أو غيره نمت جراثيم الداء وظهرت أعراضه، ثم تغلب الاسلام بقوته المساوقة للفطرة فكانت طبيعة الوجود مساعدة له على تدفق سيله الذي أروى العالم وامتداده الذي لم يعهد له نظير في التاريخ {لها بقية}

اليأس والرجاء في مصر

للاطباء في معالجة الادواء ومداواة الامراض طريقتان معروفتان احداهما مقاومة المرض بمناولة الادوية في أوقات معينة بمقادير معلومة وهي معالجة المريض بما هو خارج عن ذاته منفصل عن ماهيته والثانية الازم بمنع المصاب من كل ما يزيد المرض ويطيل أمده وهو الذي يسمونه الحمية ومعاونة تقوية المزاج بذلك وبما يستلزمه من تدبير الغذاء المناسب والنظافة التامة واستنشاق الهواء النقي وحسن الخدمة وازالة ما يهيج

الأفعال ويؤلم النفس من كل شيء وهذه الطريقة هي المثلى وعليها يعتمد الحكيم النظامي وبها يقول لان عمارها تقوية المزاج حتى يقدر على دفع المرض بذاته والعلاج بالادوية والتدابير انما هو مساعد لقوة المزاج على دفع المرض لا انه هو الدافع له فهو كالسلاح لا عمل له في نفسه ولكنه مساعد الشجاع على القتال

وحاجة السيف ان يزهو بجوهره وليس يعمل الا في يد بطل

وقد ضرب سيدنا الزبير بن العوام رجلا فقده نصفين فقيل له ما أمضى سيفك! فقال كلا انما هي قوة الساعد فاذا ضعف المزاج وحرض البدن لا ستحكام الداء فالعلاج الخارجي لا يكاد يفيد شيئا، واذا قوي فربما يطرد المرض من غير مساعدة الدواء، وأكمل المعالجة ما كانت بالطريقتين معاً فان القوي الاعزل اذا غلب اليوم فلا يأمن أن يغلب غداً، هذا كله معروف في معالجة الاشخاص

ما أشبه أمراض الامم بأمراض الافراد وما أشبه معالجتها بمعالجتها. اذا مرضت الامة بانتشار الجهل فيها واستبداد حكامها أو فقد الهبة منها والثقة عن الجامعة التي تضمها وتجمعها، أو الانخداع لمدع في ثياب صديق طموح جاء وعمل على تمزيق كلمتها بعنوان التلميح المصلح، أو الاغترار بنعيم يزول وهنو عيش لا يدوم، وأعقب هذه الامراض افتقاد الثقة بين الحاكم والمحكوم له وبين الافراد بعضهم مع بعض والالتجاء الى الاجنبي واتخاذه بطانة والاعتماد عليه والثقة به وكثرة الرشوة والمصادرة والسخرة والتعذيب من الحاكم للمحكوم له والتمنع والتنفير من الطاعة والثقة وصارت الامة بهذا كله طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب طامع

وضربت الامم القوية بصيد بلادها وضربت الدول الطامعة في احشائها فعظم عليها الخطب وأنساها هذا المرض الاخير جميع ما تقدمه من الامراض المتولد هو منها لانه هو الذي يودي بحياتها وينتهي بموتها (وهو فقد الاستقلال) — اذا كان هذا كله — فهل الصواب الاهتمام بمعالجة هذا المرض دون ما تقدمه من الامراض لانه المقدم على تلك الجروح والمجهز على حياة الامة أو الاعتناء بمعالجتها جميعاً ؟

أقول ان السعي بمعالجة مرض نتج من أمراض أخرى تقدمته مع بقاء تلك الامراض متأصلة في الجسم عبث وضلال وقصارى ما تفيد هذه المعالجة ازالة بعض أعراض المرض بأدوية خارجية ولا يؤمن بعد ازالته أن يعود هو أو مثله مادامت العلة الاولى موجودة بمقدماتها كلها

وبعد هذا فموضوع كلامنا المسئلة المصرية واستقلال مصر، مرض مصر الاخير الذي تولد من تلك الامراض التي أشرنا اليها هو الاحتلال الذي انتهى بالاحتلال الانكليزي لها وأعني بالاحتلال فقد الانتظام من المعيشتين العائلية والوطنية ومن السلطة الحاكمة والاحتلال الانكليزي

من شأن المريض الاهتمام بازالة أشد اعراض مرضه ايلاما بأقرب الطرق وبأسرع الادوية فعلا ولذلك قد تعلقت آمال المصريين بأوربا وكلما عن سبب تذكر المسألة المصرية اتجهوا مادين أعناقهم اليها وطامعين بأبصارهم الى فرنسا التي تحسد انكلترا على سبقها لهذه الغنيمة (الاحتلال) واستئثارها بوادي النيل الذي يعطيها السيادة على كل دولة عظيمة وصار الرأي العام المصري كما قيل

كلما ذاق كأس بأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

وأري ان مسألة فشودة هي آخر مافي طوامير النفوس من الرجاء والامل بأوربا وفرنسا فاذا انتهت على ماتحب انكلترا وترضى أو على مافيه منفعة الامتين دون مصر فلا جرم ان مراثر الرجاء تسحل وأسباب الامل تقطع ، ولكن هل ييأس المصريون من الاستقلال وجلاء الانكليز ؟ أقول من الحمق أن يعتمد المريض على الضماد والطلاء الخارجي الذي عسى لا يفيد واذا أفاد فانما هو تسكين ألم أو ازالة عرض ربما يكون زواله وقتيا . والواجب الذي لا تخيير فيه انما هو الاعتماد على المعالجة الداخلية والعمل على اجتثاث جراثيم المرض واستئصال ميكروبات الداء وتقوية مزاج الامة حتى يكون في مأمن من مضرة اعراض المرض كما وقع لقبائل المرته في الهند ثم يدفع بطبيعته أصل الداء كما اتفق للولايات المتحدة في أمريكا

كل قارئ لهذه الجريدة عنده علم من خروج الامريكيين على حكامهم البريطانيين واخراجهم من بلادهم قهراً واستقلال بلادهم عنهم ماعمتها التربية وانتشر في ربوعها التعليم الصحيح ، وأما قبائل المرته الهندية فقلما يوجد عند أحد من هذه البلاد علم عن حالها ، واننا نشير الى مجمل من خبرها فيه عبرة لمن يعتبر

امتازت تلك القبائل بتهذيب الاخلاق ومحبة جنسها ووطنها واتفاق أفرادها وتضافرهم على كل مافيه مصلحة ومنفعة لهم ، واتخذوا لهم رؤساء فضلاء لا يشذون عن طاعتهم ، ومن سجاياهم حب المسالمة والاتفاق مع مجاوريهم والطاعة لحكامهم ، ولما دخل الانكليز بلادهم واستولوا عليها أصفقوا [1]

(١) اصفق القوم على الشيء أي اجمعوا عليه

على عدم قتالهم وسلموا تسليما، ولو كانوا حربيين كقبائل الافريديين لما تسنى لبريطانيا اخضاعهم أبداً بل لكانت سلطة بريطانيا على خطر منهم في الولايات المجاورة لهم ان لم نقل في الممالك الهندية كلها لان الاتفاق والالتئام في الامم لا يغالب . سلموا للانكليز ولكن أتدري بماذا ؟ عقدوا مجالس الشورى وأقروا باتفاق الآراء على التسليم للانكليز بشيء واحد وهو دفع الاتاوات التي يفرضونها عليهم مهما بلغت وما وراء هذا فكل من تحاكم الى حاكم انكليزي يقتل قتلا محقا كان أو مبطلا ومن اشترى من تاجر انكليزي سلعة يقتل مهما اشتدت حاجته اليها . وعلى ذلك جروا من غير ما إخلال وظلوا على عادتهم في لبوسهم وما عونهم وسائر حاجهم حتى تعلم طائفة منهم الصناعات الافرنجية في أوربا بعثهم قومهم لهذه الغاية فتعلموا ورجعوا يعلمون ويصنعون ومن ذلك الحين كثر استعمال الماعون والنسج الاوربيين ونحوهما

ولما كانت الطرق الحديدية مما يختص بالحكومة لم يمكنهم انشاؤها في بلادهم وقد كانوا متفقين على عدم الركوب ونقل البضائع في السكك الحديدية التي أنشأها الانكليز في بلادهم والاعتماد في ذلك على الابل ونحوها ثم وجدوا ان في ذلك تأخرا في التجارة فصاروا يركبون ويتجرون فيها . واتفق يوما ان أحد وجهائهم أراد السفر في الرتل (القطار) الحديدي فأخذ تذكرة من تذاكر الدرجة الاولى ولما دخل العربة صادف فيها رجلا انكليزيا أراد منعه من الجلوس معه ترفعا فأطلعه على التذكرة التي تؤذن بأن له الحق بالركوب في تلك العربة فأصر الانكليزي على منعه وأصر المرتي على عدم الامتناع فاطلعه الانكليزي ودفع به الى خارج العربة فاقلع الرجل عن

السفر ولم تمض على الحادثة أيام حتى بلغ الخبر لجميع قبائل المرتزقة الضاربين مابين كلكته وحيدر اباد (ولهم وسائط مخصوصة لنقل الاخبار وايصال صوتهم الى سائر أطراف بلادهم) وحتم عليهم أن لا يركبوا بعد ذلك في الاوتال الحديدية ولا ينقلوا فيها عروض تجارتهم . وكان الامر كذلك ورجعوا الى جمالهم ونياقهم وكادت السكك الحديدية المارة في بلادهم الواسعة تبطل اذ معظم عملها معهم ولا شغل فيها لغيرهم الا ما كان من مسافر سائح أو عسكر ينقل من مكان الى آخر وبعد البحث من مدير المصلحة علم السبب واجتهد في مرضاة القوم وما قدر على مصالحتهم حتى بلغ منه الجهد واشترطوا عليه أن ينقل أشخاصهم وبضائعهم مدة ستة أشهر بدون أجرة ولا مقابل فرضي بذلك

فهذه ثمار بعض الحب والاتفاق الناجمين عن حسن التربية القومية، فهل أضرت بأولئك القبائل سيادة الانكليز عليهم ؟ هل أذلت نفوسهم وملكت عليهم أمرهم ؟ هل استحوذت على أراضيهم واستأثرت بتجارتهم وصناعتهم ؟ هل استبدت على أمرائهم ورؤسائهم وافتاتت عليهم ... ؟ هل استطاعت القبض على زمام تربيتهم وقيادتهم بها الى الخضوع لعظمتهم والخنوع لعزتهم بله التجنس بجنسيتهم ؟ هل فعلت بهم شيئا من الافاعيل التي فعلتها بسائر الهنود والتي تفعلها في مصر وهي لم تستول على مصر استيلاء شرعيا رسميا كاستيلائها عليهم ؟؟

كل ذلك لم يكن فعلام لا يعتبر المصريون بهؤلاء القوم ويندفعون الى التربية الوطنية القومية والى م يمرضون عن العلاج الصحيح لمرضهم وهو تقوية بنية الامة بالتربية الصحيحة ولا سعادة لهم الا بها وحتام يعدون

أحلامهم ويقنعون رؤوسهم ... مون بابصارهم على من لا يسعى الا لمصلحة ظن وافقت مصلحتهم فالعمل لنفسه لا لهم والنظر اليه والزجاجة لا بين يديه فما بالك في مصلحة نفسه ؟

فيا أيتها الامة العصبة الحظ النكدة العيش هي من نوم الغفلة وانفضي عن رأسك غبار الخمول ولا تخدعي لكلام المغرضين لا تيأسي من روح الله ولا تقعدي بعد التوكل عليه الا على سعيك فالعلاج الصحيح الذي يدفع عنك جميع الامراض ويذهب مع العرض الذي تسمى « الاحتلال » بسائر الاعراض انما يطلب منك لانه يتعلق بداخليتك وماهو الا التربية الصحيحة والتعليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الانصاف من مزايا الاشراف

عثرنا على مقالة في بعض جرائد سوريا المستبدة بامضاء « السيد محمد نوري الكيلاني » ملخصها انه اطلع على النبذة التي نشرناها من مقدمة كتابنا المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية في جريدتنا (المنار) ووصف الكتاب رجما بالغيب « بانه بذر بذور شقاق جديد بين الطائفتين وافتتح باب فتنة سدها الله » وأننا ان زعمنا الحب لجده الكيلاني فعلينا ان نحترم الرفاعي وان غير ذلك من مزالق المسالك ويجب على اتباع الشيخين ان يضرب به وجه صاحبه ويختمها بالتهديد والوعيد على طريقة الذي حركه لهذه الكتابة وتمثل ببيتين من الشعر يومئ بهما الى انه متحد مع رئيس الرفاعية سماحة الشيخ ابي الهدى افندي وانهما بمزقان بالسر خصمهما